الثورات العربية والقيم الجديدة

محمد بنّيس *

ثورة الكلمات

I

كان من المفاجئ أن تخرج كلمات إلى الشارع العربي، من خلال أصوات الشبان، كي تعلن ثورة لم تلتبس على العالم تسميتها. فكلمات مثل "الثورة العربية" أو "الربيع العربي" أو "ثورة الفايس بوك"، هي بين أبرز التسميات التي أصبحت متداولة في الخطاب الإعلامي ودوائر البحوث الاستراتيجية، المتخصصة بدول المغرب والمشرق العربيين. ثمة شيء لم نعرف كيف بدأ على نحو جديد في الحياة السياسية العربية: الشاب البوعزيزي يضرم النار في جسده، احتجاجاً على منعه من كسب الرزق بواسطة عربة مصنوعة من قطع خشبية تكاد تكون مجمعة من بقايا ما استغنى عنه نجار. سمعنا شهادة أم البوعزيزي عن إقدامه على إحراق نفسه، أو شهادة أصدقاء أو مارة كانوا في المكان مصادفة.

كان يمكن لهذه الحادثة أن تكون مشابهة لما يؤول إليه احتجاج عاطلين عن العمل، من ذوي شهادات جامعية عليا، في أكثر من عاصمة عربية، ويشكون الجوع ويعانون جرّاء فقدان الأمل، لكن صوت الشهيد البوعزيزي تحوّل إلى نشيد شعري مكون من بيتين لشاعر الحرية التونسي، أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

بيت أول يفضي إلى البيت الثاني، تفريعاً لصورة الجواب على الشرط "إذا"، وما حدث هو أن خروج الشبان التونسيين، في جماعات أخذت تكبر شيئاً فشيئاً بشكل حلزوني، حوّل بيت الشابي من صيغة الشرط، كنبوءة شاعر، إلى واقعة تتحقق على الأرض، بإرادة الشعب. جموع بشرية نزلت إلى الشوارع بلغة يعود عمرها إلى ثلاثينيات القرن الماضي، ولا تشيخ. لغة شعرية. هي وحدها التي استطاعت أن تنقل الشعب من الحذر والخوف والصمت إلى الجرأة والشجاعة والكلام.

(*) شاعر وناقد مغربي.

II

مشهد مفاجئ، لأن ما كنا نعانيه وتعاني جرّاءه الشعوب العربية، هو سيادة خطاب إسلاموي عمل على إلغاء الفكرة العربية التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر، وعلى تكفير الديمقراطية والحداثة وحرية التعبير والإبداع. لن أعود إلى تفصيل ذلك الخطاب الإسلاموي، فما كان يثير في الوقائع اليومية هو أن نظام الحكم العربي كان مستريحاً لوجود إسلامويين بفضلهم تفرد بالسلطة والمال والإعلام. لم يعد ثمة مجال لفكر نقدي، ولا لحركة ديمقراطية، ولا لحقوق مدنية أو سياسية أو ثقافية. مجرد إعلانات سياحية أو دعاية لا فارق فيهما بين تمجيد نظام وتمجيد سلعة، ولك بعد ذلك ما تشاء. نظام يفتح أبوابه أمام عولمة المال والإعلام، وعولمة تغلق عيونها عن نظام يظلم وينهب ويقمع ويعمم الجهل في بلاد عربية. عالم ما بعد سقوط جدار برلين وحرب الخليج.

هو مشهد جديد. تلك الانقلابات التي سرقت اسم الثورة، كانت من فعل نخبة عسكرية. تاريخنا الحديث مملوء بانقلابات كانت الشعوب تهتف لشكلها، ثم تصبح، بعد ذلك، حبيسة مضمونها السلطوي، المضاد للحرية. ثورة الشبان جاءت من الشعب نفسه، من كتلة بشرية فيها الصوت الجماعي متصل بين بلد وآخر، بين جيل وآخر. مشهد الشبان الذين أصبحوا، يوماً بعد يوم، لا يستعرضون أشكال الثورة وحدها، بل يبدعون في مضمونها أيضاً، على نحو أعطى مشهداً لم نتعود عليه، في الكلمات ومضمونها. الاسم العربي بدلاً من الصفة الإسلاموية هو الأبرز في مشهد الثورة. فلأول مرة، بعد أعوام طويلة، عاد الاسم العربي إلى بلاد وشعوب، بعد أن كانت خطابات عوضته بالاسم الإسلاموي، وتدّعي أن اختيارها هو البديل الممكن.

وعلاوة على ما كنا نلاحظه من تنازل عن الاستقلالية لدى فئة واسعة من المثقفين الذين كانوا، من قبل، صوت المعارضة، كان هناك أيضاً التهافت على تطويع الثقافة كي تتلاءم ومتطلبات خطاب الدعاية للاستبداد وتبريره، بحجة مواجهة الإسلامويين. وكان صوت هذه الفئة من المثقفين أشد تعنيفاً بمبادئ الديمقراطية والحرية (ومنها حرية الرأي والتعبير) عندما قدم تأويلات فاسدة وأعلن الحرب، باسم الوطنية أو القومية أو حتى الحداثة، على كل متمسك بوعي نقدي، الأمر الذي جعل المثقفين النقديين الذين لم يستسلموا لإغراءات السلطة ولم يتسابقوا نحو الندم على ما كانوا عليه من إيمان بقيم ومبادئ، يصبحون في ظرفية عولمة الاقتصاد والإعلام، عاجزين عن الدفاع عن الثورة.

III

ثورة في بلاد عربية أتت من حيث لا ندري. هي الدهشة وهي الغبطة. مَن كان يتخيل أن النظام المصري يمكن أن ينسحب من مقاصير السلطة وساحاتها؟ فأوضاع الأحزاب السياسية المصرية أو تحالفات النظام المصري، جهوياً ودولياً، لم تكن تترك خيطاً من الشك يتسرب إلى نفوس الممسكين بكراسي الحكم، فهم هناك باقون. لا أحد من خارج مصر كان يمكن أن يتصور ما بعد الانتخابات الرئاسية من خارج المحيط المحدد سلفاً من طرف أصحاب المصلحة في إدامة السيطرة على الحكم.

تونس رحمُ الثورة. تونس التي كانت علامة على ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي كثيراً ما استدعيا من الخارج تضامناً مع نظام قائم

على قوات الأمن. إنها الحالة نفسها التي عمّت بلاداً عربية أُخرى: من المغرب إلى الجزائر، إلى الأردن، إلى البحرين، فضلاً عن لبنان وفلسطين. تظاهرات تحتشد فيها مطالب الشبان. جبال وسهول اليمن تحولت إلى نهر بشري. وفي ليبيا وسورية، شعب أزاح عن كتفيه قول "نعم" للطاغية. هي الحرية التي يريد. كلمة واحدة تختصر قاموس مبادئ الإيمان ومبادئ الحياة، قالها الناس كما لو كانوا في صلاة.

من الأحسن ألاّ نتساءل عن معنى ما يردّ به هؤلاء الحكام على شعوبهم، بعد أن كانوا دائماً حريصين على ترديد شعارات تزدحم بعبارات مواجهة المؤامرة الاستعمارية والإمبريالية. لم يغادر حاكم قصره ليشاهد، عن كثب، هذا الذي يحدث، وإنما كان يكتفي بروايات وتقارير يقدمها مخبرون. وهو، حين يشاهد التلفزيون، يتوقف عند وثائق مسجلة عن الاحتفال بأمجاده. هذه مرآة حقيقتك يا حكمي، يؤكد لنفسه. وغير بعيد عن قصر الحاكم، شوارع لم تعد تنام. نامت من قبل أكثر مما يستوجبه النوم. ثم هي في يقظة لا تهدأ صرختها ليل نهار. ونشرات الأخبار التي لم تتوقف عن متابعة الأحداث، سمحت لنا بمشاهدة جوانب من هذا السهر الذي يطول، تعبيراً عن إرادة الشعب. حشود تتظاهر وتعتصم بشكل سلمي ومنظَّم. تحافظ على الحياة العامة، تحمي الأملاك، تنشئ فضاءها الخاص، في أمكنة رمزية، مثلما أصبح عليه الأمر في "القصبة" في تونس، أو "ساحة التحرير" في القاهرة. أمّا درجة الفارق في الثورة بين هذا البلد أو ذاك، فالنظام السياسي في الأساس هو نفسه الذي كان يعيّنها. فالرد بإطلاق الرصاص على المتظاهرين تختلف فيه درجة التعبير عن الثورة عمّا يؤدي إليه عدم مصادرة الحراك الجماعي. بلاد يشتد فيها الغضب الشعبي وتصلب إرادة الحياة في وجه إجرام حكام متغطرسين، وفي وجه أسلحتهم التي أصبحت موجهة إلى قمع الشعب: قتلاً وإحراقاً وتدميراً وتخريباً. وبلاد أُخرى تسير فيها تظاهرات لإعلان المطالب، تعبر الشوارع، فتتكون حلقات النقاش، ويتبلور جدل بأصوات أجيال وميول.

ومن علامات الجديد في هذه الثورة إبطال نظرية فاعلية التعامل الأمني في فض الاعتصامات وتفريق المتظاهرين. للمشهد ما يفاجئ دائماً. شعب في حالة من الحضرة الصوفية: وهب جسده لأجل الفرح بما يريد. لأول مرة يخرج جيل من الشبان، يصرخ، يغني، يرفع العلم، يرقص، يزين الأكف والجباه والخدود بوشوم مستمدة من بلاغة الثورة. شعب يستلذ كلمات تدل على ما يريد. إرادة الحياة. علامات في شكل صور مركزة ذات إطار مضبوط ومفتوح بعضها على بعض، حيث حرية الجسد، حرية الخيال، حرية التعبير، حرية الاختيار، تدوس ثقافة الخوف وتنهي عهد الخضوع للمستبد الطاغية.

IV

لا شك في أن خصوصية هذه الثورة تكمن في أنها أتت بما يفاجئ لا في الفعل فقط، بل في الخطاب أيضاً، من حيث حضور الشعر والصورة والغناء والرسم والتعبير المسرحي، فضلاً عن النكتة والمثل. هي خطابات إبداعية تضاعف من قدرة الجسد الثائر على المقاومة، وعلى إنتاج المقاومة المتعددة. خطابات كانت مكبوتة من طرف النظام الحاكم، وهي تنتمي إلى ثقافة يجهلها الإسلامويون، وفي غالب الأحيان يحرّمونها. ثقافة حديثة، مستقاة من تاريخ ثقافي عربي (عالِم وشعبي، لا يلغي الثقافات غير العربية في البلد الواحد، أكانت

الكردية أم الأمازيغية)، ومن تقاليد غربية تفاعلت معها الثقافة العربية الحديثة عبر مراحل من نشوء خطاب أدبي وفني جديد عبر البلاد العربية، أو هي خطابات تتميز بكونها تتحرر من خطاب سياسي كانت المعارضة متعودة عليه في استهلاك معجم وصيغ وأساليب هي مجرد عظام لغة ميتة. وهذه الخطابات، في الوقت نفسه، خطابات توجه النقد نحو داخل البلد، بحدوده الجغرافية والثقافية، وبأوضاعه السياسية والاجتماعية والحقوقية. لا توجد نسخة واحدة لهذه الخطابات ولا لهذه الثورة العربية، مع أنها تصدر عن كلمات مشتركة.

ثورة الشعوب العربية وخطاباتها تتطلب قراءات متنوعة، ومن أجل ذلك، لا بد لهذه القراءات من أن تبتعد عن الإعلامي. فما تحتاج إليه هذه الثورة هو قدرة النخبة المثقفة على تقديم قراءة تتحول بدورها إلى بوصلة توجه الفعل نحو الوعي بذاته. خطابات معرفية. وهي، في اعتقادي، ستعيد النظر في مسلماتها مثلما أعادت الثورة النظر في مسلمات المعارضة التقليدية.

معنى ذلك أنه ليس من واجب خطابي هذا أن يسرق خطاب شبان الثورة، ولا أن ينتحل خطابات الآخرين، أكانوا سياسيين أم قانونيين أم مؤرخين أم فلاسفة، ولا أن يتمسك بحرفية نظريات الثورة التي أنتجتها العصور السابقة، ولا أن ينقاد وراء تفسيرات تغري بالاعتقاد بحتمية عامل تكنولوجيا التواصل، الفايس بوك، في حدوث الثورة. قناعات ومبادئ واختيارات في الحياة، اعتماد الحواس، ملاحظة طبيعة اللغة التي خرجت إلى الشوارع وفعلها في المتخيل العام، معارف تاريخية وفكرية، هي أول ما يعين حدود الخطاب الذي يمكن أن أكتبه. لم يخطر على يدي، مثلاً، أن تكتب قصيدة. جسدي لم يحس بثورة الشبان من خلال كلمات منغمة لها نسق تصويري، أو حتى ما هو أبعد من حيث التعامل مع قوانين اللغة. أتساءل: لماذا لم يحدث أي شيء من هذا؟ أجيب نفسي بأن زمن الكتابة هو نفسه يتدخل في الكتابة. لو كنت أعيش هذه الثورة في السبعينيات أو الثمانينيات من القرن الماضي، لكان من المحتمل أن تكون القصيدة جاهزة في غضون أيام من بداية الثورة، وربما كانت القصيدة ستكون قابلة لأن تتحول إلى ديوان. ما أعني هو أن الخطابات كلها، المعرفية أو الأدبية أو الفنية، تحتاج إلى عدم التخلي عن زمنها، مثلما تحتاج إلى عدم اختزال قراءتها إلى الخطاب الإعلامي، احتماء أو استنجاداً به، لأنها، في هذه الحالة، ستفقد ضرورتها، ومن ثم ستعمل على إفقار دلالة الثورة بدلاً من إغنائها.

V

نحن هنا، مع الثورة، أمام ما يتجاوز بالتأكيد مطالب ظرفية، كالبطالة، أو محاربة الفساد. أزمة البطالة، مثلاً، نافذة اقتصادية واجتماعية تقدم صورة عن يأس الشبان، وعن حفرة الفقر التي يسقط فيها المجتمع. لكن هل هذه الوضعية هي وحدها ما يرفضه الشبان في حياتهم اليومية؟ قليلاً ما ترددت كلمة البطالة في خطاب الثورة، بخلاف ما نلاحظه في الغرب، من تحول التظاهر ضد البطالة إلى رفض سياسات اقتصادية، قبل أي شيء. عدم استحواذ البطالة على خطاب الثورة العربية يفيد أن الشعب يعي أنها تحجب وراءها أوضاعاً أكثر تعقيداً مما يظن الخطاب الرسمي. إنه خطاب يستعجل في تلخيص ما يطالب به الشبان، وفي بلوغ نقطة الفصل في حقيقة ما سعوا له. يستعجل فيخطئ عندما يقف عند عتبة

البطالة، وهو عديم الإحساس بما أصبح متداولاً من أحاديث لا هنا والآن وحدهما، بل في أكثر من مكان في العالم، وفي المستقبل المتعدد على السواء. بلاد بعيدة جغرافياً (وثقافياً) عن العالم العربي أصبحت تخشى انتقال الثورة العربية إليها. هي الصين، وإيران، وتركيا. ولِمَ لا نقول أوروبا التي أكد فلاسفة ومفكرون، منذ أكثر من عقدين، أن الثورة لم تعد ممكنة في الغرب؟ ما أخطأ به الحاكم العربي هو أن القصد من الثورة يتلخص في كلمة المستقبل ومعناها. إن إبدال طبيعة النظام العربي هو ما يطالب به الشبان كي يكون مستقبل بلادهم وشعوبهم في قطيعة مع الحاضر. هذه هي الدلالة التي تأخر الحاكم العربي في فهمها. مستقبل لا مكان فيه لطغيان أو استبداد. نقطة مشعة في الأفق أبصرها آخرون، من غير الطغاة والمستبدين العرب، في الغرب المالك سلطة القرار الدولي الآن.

كلمة تتفاعل مع كلمات أُخرى، على لسان الشعب وفي اللافتات التي يرفعها. تلك هي الكلمات التي تخرج في ثورتها ولا ينصت إليها الحاكم العربي بما يكفي من التواضع. ليس الأمر، بالنسبة إلى الشبان، أن يتم إصلاح ما أفسدته السياسات، من ظلم اجتماعي، واختلاس أموال، واستغلال نفوذ، وتزوير انتخابات، وتحكّم في الإعلام، فلكل هذه المظاهر وسائل للحد منها. النظام العربي متضامن في الشدائد. امنح الناس وظائف، أَلْقِ بحفنة من المسؤولين في الغياهب، أخفضْ أثمان القوت اليومي لأغلبية الناس، ضاعفْ عدد القنوات المتلفزة، أكثرْ من عدد الناجحين في المدارس والمعاهد، عمّم السهرات، ولك أيها الطاغية أن تهيئ من جديد مشهد إخضاع بحسب ما يطيب لمكرك. لكنك مخطئ. ومخطئ مَن ظن أن ثورة الشبان جاءت في مواكب شحاذين. لا، أبداً. هي ثورة في صيغة قول ابن عربي: "انسَ ما علمتَ وامحُ ما كتبتَ وازهدْ فيما جمعتَ."

VI

أول ما ورد في ذهني وأنا أتتبع مشهد الثورة التونسية هو التمازج بين كتاب "مقالة في العبودية الإرادية" لإيتيين لابويسي، وديوان "أغاني الحياة" لأبي القاسم الشابي، فقد مات الاثنان شابين: لابويسي عن اثنين وثلاثين عاماً (١٥٣٠ ـ ١٥٦٣) والشابي عن خمسة وعشرين عاماً. الأول فيلسوف والثاني شاعر. ليست المسألة متعلقة بحدس ما. كتاب لابويسي اخترق الحدود الفرنسية ليصل إلى عدة أقطار. وفكرته هاجرت إلى الثقافة العربية الحديثة، عبر طرق لا نضبطها اليوم، من خلال اللغة التركية، ربما، ومنها إلى كتابات عبد الرحمن الكواكبي في سورية. والطرق بعد ذلك متيسرة. افتراض لا يستلزم تأكيداً. فنظرية الشعب والخضوع للعبودية كانت بدورها منتشرة عن طبيعة الاستبداد الشرقي. كان إيتيين لابويسي يتساءل عمّا إذا كانت الحرية ليست من خصائص الطبيعة البشرية، ثم كتب مقالته للبحث في مصير الشعوب: كيف أن الناس يفضلون بإرادتهم الخضوع لطاغية وتحمّل العذاب الذي يتسبب به لهم بدلاً من أن يعترضوا عليه؟ وكان الشابي، من جهته، قارئاً ذكياً وكان، في الوقت نفسه، ملاحظاً لسلوك الناس في تونس. كان غاضباً على الشعب التونسي المستكين للاستعمار ("النبي المجهول"، "إلى الشعب")، وفي رسالة ذات نفحة نبوية جاءت قصيدته "إرادة الحياة".

لقد تداخل ما ورد في ذهني مع تاريخ شعري عربي حديث. فهذا الشعر كان أشد نقداً

للواقع من سواه من الخطابات: قصائد، مقاطع، أبيات. ومآل شعراء في المغرب والمشرق على السواء كان مأساوياً بسبب هذا الوعي الحاد بضرورة الحرية. ومع هذا التراث الشعري (مَن يتذكره اليوم؟) أدبيات فكرية لمؤرخين ومفكرين كانت تطرح واقع الاستبداد والاستعمار والتخلف والتحديث. هذا الجانب الشعري والفكري استحضر تاريخ حركات التحرر في العالم العربي، بأسماء وأزمنة متباينة.

VII

واقع جديد ينشأ في مقابل ذاكرة متصدعة، مشوشة، أو منبوذة. هي ذاكرة راح البعض يبحث عنها في الدهاليز، وبين المهملات في غرف باردة. نريد أن نفهم هذا الذي يحدث بلا موعد ومن دون انتظار. التاريخ العربي الحديث برمته بات مرغوباً فيه، أو هناك مَن لم يبال بكل ذلك. ما يحدث جديد.

للكلمات واقعها أيضاً. فالتأويل الذي اكتفى بمنطق الظرفية في المطالب كان باستمرار يصطدم بما هو أكبر من الظرفية. كلمات تتبدل بين حين وآخر، وتصطف كأبراج على صفحات الإنترنت، وتمشي مع المتظاهرين في الشوارع، وتكشف عن عائلتها المعتقلة أو المحاصرة. تلك الكلمات الأولى عن الحق في العمل، أو في التظاهر، تحولت بفعل عنف السلطة وإجرامها إلى كلمات عن الكرامة، عن الحرية، عن العدل. لكنها في لمح من البصر أصبحت تطرح اختيار حياة. كلمات وعبارات للدلالة على مطلب التغيير الشامل للنظام. إسقاط النظام. كلمات كونت جملة، ومن الجملة خطاباً أصبح خطاب الشعب. "الشعب. يريد. إسقاط النظام." بهذه العبارة المنطوقة بنغمية، انتهت المطالب الظرفية وعاد كل شيء إلى سؤاله البدئي، عن الحكم والشعب والحرية.

الرعب والدعاية هما سلاح الديكتاتوريات، كما كتبت حنا آرنت. والمستبدون العرب يتوارثون الديكتاتورية بما هي طبيعة تلازم الحاكم العربي، مثلما الشعوب تقبل بإرادة منها بالاستبداد وتخضع له، تبعاً لمنطق الشعوب الشرقية. وعندما استفاق الديكتاتور العربي على صوت الشارع توهم بأن ما يطلبه الشعب هو ما كان مطلوباً في القرن التاسع عشر من أن يصبح المستبد عادلاً. لم يفعل الحاكم سوى أن استنفر الرعب والدعاية. في مصر وليبيا واليمن وسورية والبحرين، انتشر السلاح ضد المتظاهرين وتصاعدت أشكال الدعاية. ضحايا على الأرض تقول عنهم الدعاية إنهم مجرمون أو إرهابيون أو مأجورون لأهداف عدائية. ثم تقول: انظروا إلى الشعب المتباهي في الساحات بقائده. ولم يفطن الحاكم إلى أن ما يحدث لا نعرف بعد لا كيف عدم تفسيره، ولا كيف فهمه. واقع جديد، حتى الإسلامويون لم يعد لهم قول فيه. المرأة في الشارع، في الساحات العامة، إلى جانب الرجل. الشبان يتقدمون الصفوف، والكهول والعجائز يتضامنون. الساحات تمتلئ طوال الأيام. "الشعب. يريد. إسقاط النظام." انتهى ما كان لغة المعارضة المنظمة، الحزبية. انتهى كلام كان يقدم نفسه الصادق الأمين. انتهت صورة شعب كان يريد العبودية. كان يخشى. كان يدعو بالسلامة. لا: كلمات تخرج في ثورتها.

VIII

يبدو أن الغربيين استوعبوا، بعد صفعة تونس، ما تريده شعوب العالم العربي. فمن دون موارية أصبحوا واعين تماماً أن ما يحدث ليس له مثيل في تاريخ العرب الحديث، من المغرب إلى المشرق. كلمات. نعم. لكنها نفسها التي تعلمها الغربيون في ثوراتهم من أجل كتابة عقد جديد بين الشعب والحاكم، أساسه احترام إرادة الشعب حين يعبّر في الساحة العامة، وفي صندوق الاقتراع، عن رأيه واختياراته. كلمات الحرية والعدل والديمقراطية والكرامة هي التي صدرت، عبر التاريخ، عن النخبة المفكرة، المبدعة، العالمية، المناضلة، لبناء زمن جديد. استوعب الغربيون أن كلمات الثورة العربية هي كلماتهم أيضاً، وهم مسؤولون عنها في بلاد عربية، بدلاً من الاستمرار في مساندة طغاة. كلمات ثقافة جديدة في الحياة السياسية العربية، ومن الشوارع إلى الدساتير. ذلك ما أصبح في قيد التنفيذ في أكثر من بلد عربي. إعادة كتابة الدساتير بلغة تستجيب لمستقبل الحرية والعدالة والمساواة. كلمات تفتح مغاليق المعنى في خطاب يقتحم الممكن بحجم الثورة ذاتها. قيم ومبادئ كونية يريد الشعب أن تكون في ملكيته، يخاطب الناس بها بعضهم بعضاً، ويخاطبون غيرهم في العالم. حشود الجهل والكراهية والتكفير توارت خلف حشود الحرية والنشيد والإبداع. إنه ما ليس له مثيل في تاريخنا الحديث. وهو لا يزال في بداياته. إبدال في منظور تاريخي وفي رؤية للإنساني على السواء. ولن تعود البلاد العربية، على الرغم من التهديدات المتفجرة بين حين وآخر، إلى ما كانت عليه من ذلك الخوف، أو الخضوع. كلمات للحرية، نعم، لمستقبل هو الحرية. ■

يصدر قريباً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مذكرات محام فلسطيني

حنا ديب نقارة: محامي الأرض والشعب

تحرير

عطا الله سعيد قبطي